

إشراك الشباب والأطفال العرب: نداء لا يحتمل التأجيل

إعداد:

محمد حمد الغانم
مستشار شبابي، صندوق الأمم المتحدة للسكان

مؤتمر

"تعليم الشباب والأطفال في مدن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا"
المعهد العربي لإنماء المدن/ مشروع حماية الأطفال في منطقة الشرق الأوسط
مدينة دبي، الإمارات العربية المتحدة
١٦-١٨ مايو ٢٠٠٥م

■ الشباب والأطفال العرب: ثروة حقيقة يجب الاستثمار فيها

أدرك المجتمع العربي مؤخرًا، والطبقة المتقفة فيه تحديداً، حقيقة وضع الشباب والأطفال، والحقيقة هي أنهم ثروة حقيقية يجب الاستفادة منها والعمل معها لتطوير قدراتها لتصبح مصادر فاعلة من أجل التغيير والارتقاء بمجتمعاتها والأمة العربية كافة.

والسؤال الأساسي هو: لماذا الشباب والأطفال، ما هي أهميتهم؟ وما هي الإنجازات التي قدموها لتأخذ طروحاتهم وأفكارهم بجديّة؟ والجواب هو:

- ١) لأنهم يشكلون الحاضر والمستقبل.
- ٢) لأنهم ليسوا المشكلة وإنما هم هو الحل.
- ٣) لأنهم مبدعون، قادرين، مجددون، تمكنوا رغم كل التحديات من المساهمة في الإنتاج وفي الإدارة وفي الثقافة والفنون والآداب وفي التكنولوجيا والعلوم وفي مجالات التنمية المتعددة.
- ٤) لأنهم يواجهون أفكار نمطية من قبل المجتمع في حاجة إلى التغيير من ضمنها: الشباب ليسوا ناضجين، يحتاجون لمن يرشدهم ويقودهم ويراقبهم ويقدم لهم الخدمات، لأنهم لا يعرفون كيف يتعاطوا مع المسؤوليات، ليس لديهم الخبرة والمعرفة، متهورون وتأثرون، ويصعب كبح جماحهم.
- ٥) لأن تأجيل الاستماع إلى مطالبهم، والاستخفاف بقدراتهم، واستبعادهم من ساحات القرار أدى وسيؤدي إلى انفجارات لا تحمد عقابها سياسية أكانت أم اجتماعية.

هذه الأسباب هي الركن الأساسي لإشراك الشباب والأطفال العرب في عملية صناعة القرار. ولكن، ومع كل أسف هنالك معوقات أساسية تمنع كثير من الشباب والأطفال العرب من الوصول إلى هذه الغاية. ومن هذه الأسباب: البطالة، الفقر، الأمية، وعدم توافر الفرص التي تمنحهم الخبرة اللازمة ليصبحوا مصادر قوى يرتكز عليها المجتمع لصناعة الحاضر والمستقبل. ومع هذا وذاك، فإن المجتمع العربي، ينعم وبحمد الله بعدد كبير من الشباب القادرين والأطفال المبدعين، الذين توصلوا إلى إنجازاتهم بسبب الدعم الأسري الذي لا يلقاه إلا عدد قليل من النشء العربي.

العالم العربي اليوم أمام فرصة قوية جداً، يستطيع من خلالها الوصول إلى غاياته المنشودة، من خلال الاستثمار الحقيقي بالرأس المال البشري المتواجد لديه والمتمثل بالدرجة الأولى بالشباب والأطفال. هذه الفرصة متاحة لجميع دول العالم، حيث تدل الإحصائيات بأن نصف سكان هذا الكوكب هم دون الخمسة وعشرين عاماً.^١

^١التقرير السنوي لصندوق الأمم المتحدة للسكان ٢٠٠٣.

إلا أن هذه الفرصة لن تدوم لوقت طويل، حيث تبين الإحصائيات الديموغرافية، بأن العالم بعد ثلاثين عام، سيصبح في وضع "الشيخوخة" حيث التركيبة السكانية للعالم ستتحول، ليكون غالبية السكان فيها فوق الستين عام، باستثناء المنطقة العربية التي ستظل روح الشباب تنبض فيها. حيث تشير الأرقام إلى أن العالم العربي في العام ٢٠٣٠ ستراوح متوسط الأعمار فيه بين ١٨ عام في اليمن، إلى ٤١ عام في الإمارات العربية المتحدة.^٢

هذه الأرقام تبين ضرورة توجيه السياسات التنموية والاقتصادية في المنطقة لتشمل أهم التحديات التي تواجه الشباب والأطفال العرب. لأن هذا التغيير، سينتج جيل من الشباب المتمتع بالرفاهية المطلوبة التي تضعهم في المناخ المناسب لتطوير قدراتهم، ليصبحوا فيما بعد قادة قادرين على تحمل المسؤوليات ومواجهة التحديات.

■ الأوضاع الراهنة للشباب والأطفال العرب:

الشباب والأطفال العرب يعانون من مشاكل كثيرة يجب العمل على مواجهتها من أجل تفادي ولادة مشاكل أخرى نتيجة إهمال وضعهم الراهن. ومن أجل تسليط الضوء على أهم المعوقات، قمنا بفصل هذه الجزئية لتناقش أهم تلك التحديات، ومنها:

— واقع التعليم في المنطقة:

"يكن التحدي الأهم في مجال التعليم في مشكلة تردي نوعية التعليم المتاح، بحيث يفقد التعليم هدفه التنموي والإنساني من أجل تحسين نوعية الحياة وتنمية قدرات الإنسان الخلافة."^٣

تبين المسوحات والبيانات الإقليمية والوطنية، بأن الدول العربية قطعت في الأربعين سنة المنصرمة، شوطاً لا بأس به في مجال التعليم. ولكن المعوق الأساسي يكمن في مستويات التعليم والتي بدأت بالانخفاض الملحوظ منذ عام ١٩٨٥. التعليم في الدول المتقدمة يركز على سمات أساسية لا تزال نفتقدها ومنها:

- ١- الاعتماد على النفس.
- ٢- تشجيع العمل الجماعي.
- ٣- احترام وتقبل وجهة نظر الآخر.
- ٤- المسائلة المستمرة في حال عدم الفهم أو عندما لا يقتنع الطالب بالطرح.
- ٥- الاعتماد على التشخيص والتوصل لأراء مستقلة عن ما هو مطروح من قبل المعلم أو المنهج وتشجيع الطالب لاقتناء اسلوب التفكير النقدي. Critical Thinking Techniques

^٢أفاق سكان العالم عام ٢٠٠١ عن قسم السكان في إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية في الأمم المتحدة.
^٣تقرير التنمية الإنسانية العربية. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي/الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي. ٢٠٠٣.

بالإضافة، فإن مناهج التعليم في عدد كبير من الدول العربية، تهمل قضايا أساسية مثل مفاهيم الصحة الإنجابية، مما يجعل الشباب والأطفال أكثر عرضة لفيروس نقص المناعة (الإيدز)، وأمراض أخرى. ولقد ثبت بأن العزوف عن تثقيف الشباب في قضايا البلوغ وأثار التغيرات الفسيولوجية للجسم الناتجة عن البلوغ، يسبب صدمة للعديد من المراهقين. تجدر الإشارة إلى أن الدول العربية كافة قد صدقت على الاتفاقية الدولية للسكان والتنمية والتي تضمن هذا الحق للمراهقين.

-تراجع حصة التعليم من ميزانيات الدول:

تشير الدراسات إلى أن السمات الأساسية في التعليم الحديث (مذكور سلفاً) أفضل نموذج لتمكين الشباب وذلك لأنها تركز على ضرورة تكوين شخصية مستقلة عند كل فرد من أفراد المجتمع. لقد أصبح تطوير المناهج وتحديث أساليب التعليم لتتضمن أمراً ملحاً، ولكن وبسبب تراجع حصة التعليم من ميزانيات الدول العربية، ولعدم وجود الكوادر المطلوبة من المعلمين الذين يضمنون تنفيذ استراتيجيات التطوير الموضوعية بأفضل الوسائل العلمية أصبحنا أمام حائط مسدود لا يزال إلا بزيادة ميزانيات التعليم (وهذا يتطلب ميزانيات خاصة تضمن تقديم عروض مغرية لجلب مثل هذه الكفاءات في الدول العربية).

فالسؤال إذاً، ما دامت الدول لا تتفق على التعليم بالطريقة المطلوبة، ما هو الشق الذي يأخذ الحيز الأكبر من الميزانية؟ وقد تبين بأن معظم الدول العربية تتفق على الجوانب العسكرية أضعاف ما تنفقه على التعليم. والجدول التالي يقارن ما بين نسبة الإنفاق على التعليم بمقابل الإنفاق العسكري لثلاثة دول عربية وهم: الجمهورية العربية السورية، المملكة العربية السعودية والجمهورية السودانية. (الأرقام تشير لحصة كل شق من الناتج المحلي):⁴

الدولة	الانفاق على التعليم	الانفاق العسكري
سوريا	4%	6.10%
السعودية	6.50%	12.80%
السودان	0.90%	3.60%

-عدم المساواة في التعليم:

⁴تقرير التنمية البشرية. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. ٢٠٠٤

أحد أهم المعوقات التي تواجه الإناث في المنطقة هو عدم مساواتها في الرجل في كسب المعرفة. وهذه الظاهرة تعود لأمور عدة من أهمها النظرة التقليدية لدور النساء والفتيات في المجتمع كربات منازل وبهذا يكون دورهن في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية شبه مفقود.

إن الإحصائيات الصادرة عن اليونسكو تبين بأن التفاوت في تحصيل العلم متواجد فقط في المراحل الجامعية وما بعدها. وتشير الأرقام إلى زيادة نسبة الفتيات الملتحقات في المراحل الابتدائية والثانوية وقد تفوق نسبهن نسبة الذكور في كثير من الدول، خصوصا في المرحلة الثانوية. والجدول التالي ينظر في وضع نسب الفتيات والذكور في المراحل الثانوية لثلاثة دول عربية وهم: البحرين، الأردن وتونس.

الدولة	نسبة الاناث	نسبة الذكور
البحرين	86.63%	76.93%
الأردن	78.46%	73.40%
تونس	69.95%	65.86%

نتيجة هذه الأرقام ليست بسبب تغيير السياسات التعليمية لتضم خطط لتشجيع تعليم الإناث، لكن السبب الرئيسي وراء هذه الارتفاع المشجع للإناث في مستويات الثانوية هي التركيبة السكانية في العالم العربي والتي تؤكد بأن نسبة نساء أكثر من نسب الرجال في المنطقة. والسبب الآخر هو أن الدول الثلاث المستعرضة في الجدول لديها قوانين تفرض التعليم على جميع المواطنين حتى نيل الشهادة الثانوية.

أما على المستوى الجامعي، فهناك انقلاب كلي على وضع المرحلة الثانوية. ففي العراق مثلا معدل الإناث الملتحقات في المرحلة الجامعية ٩,٤٩% مقابل ١٧,٤٦% من الذكور. ووضع العراق يشبه الأوضاع في اليمن حيث معدل الإناث في الجامعة ٤,٨٥% مقابل ١٦,٦٥% من الذكور.

⁵التقرير السنوي لليونسكو. ٢٠٠٣
⁶التقرير السنوي لليونسكو. ٢٠٠٣

-الأمية:

"وما يزال في استطاعة أي متطرف متعصب أن يعمل على تهبيح عشرات الآلاف من الأميين ضد أي مستنير، وأن يستثير الأمية الواضحة والكامنة لتغدو سدا في وجه كل مشروع لتحديث التعليم والثقافة."⁷

هذه الكلمات، تصف ومع كل أسف، وضع المنطقة. لأنه وبسبب تزايد أرقام الأميين فيها، نجد هنالك أعداد هائلة من الشباب والأطفال (وخصوصا أطفال الشوارع) من يلجأ إلى التطرف والتي يخيل لهم بأنها الطريقة الوحيدة للخلاص من الواقع المرير الذي يعيشون فيه. فالأمية والجهل من الأمور الأساسية التي تدفع الشباب والأطفال لاغتناء العنف كوسيلة لحل النزاعات.

تشير الإحصائيات بأن عدد الأميين في المنطقة الذين تزيد أعمارهم عن ١٥ عام وصلت إلى وضع خطير جدا خصوصا عند النساء، حيث إجمالي عدد الأميين هو ٣٨,٧%. وعندما يتم مقارنة نسب الأمية بين الجنسين، نرى بأن الأمية عند الذكور ٢٦,٦% والنسبة متضاعفة بين الإناث حيث تصل إلى ٥١%.^٨

تزايد الأمية بين الشباب والأطفال، يخلق مجتمعا مشنجا، وضعه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في خطر، حتى وان وجدت الموارد الطبيعية التي تضمن الدخل لبعض الدول. والخطورة هي عدم معالجة هذه القضية بسرعة قصوا، خصوصا إذا تفتت هذه الظاهرة بين الشباب، بالوضع كما هي عليه عند الكبار. وتداعيات هذا الوضع يتمثل في الدرجة الأولى بخلق جيل صاعد يعيش في حالة خمول تؤدي إلى التخلف والنزاعات والتفرقة.

-البطالة وعدم توافر الفرص:

الوضع الاقتصادي المتدهور في المنطقة أدى إلى نشوب مشاكل كثيرة للشباب والأطفال العرب. ومن أهم هذه المشاكل:

-العمالة في سن المراهقة:

بسبب عدم توافر الدخل المناسب للأسرة، يضطر كثير من الأسر العربية لسحب أولادهم من المدارس وتوظيفهم من أجل رفع مستوى دخل العائلة. ونسب المراهقين (١٥-١٩ عام) العاملين في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا مرتفعة جدا، ويبلغ عدد الإناث العاملين في المنطقة ٤٦% وعدد الذكور ٨٢%.^٩

⁷ عبد العزيز المقالح: دور الأمية في إعاقة المعرفة.

⁸ تقرير التنمية البشرية. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ٢٠٠١.

⁹ تقرير وضع سكان العالم. صندوق الأمم المتحدة للسكان. ٢٠٠٣.

هذا التحدي يشكل عائق أساسي خصوصاً بأن فرص هؤلاء المراهقين للتقدم في وظائفهم ضئيلة، بسبب افتقارهم للمعرفة المطلوبة لتسلم مهام الوظائف الأكثر دخلاً ومسؤولية.

-ارتفاع معدلات البطالة:

معدلات البطالة في المنطقة العربية وصلت إلى مستويات مرتفعة جداً تثير القلق. وهذا ناتج عن أسباب عدة من ضمنها: اكتفاء سوق العمل بالتخصصات المتوفرة لدى الشباب مما يضع الشباب المتخرجين حديثاً، وخصوصاً الحاصلين على إجازات في مجالات العلوم الاجتماعية في وضع حرج. وهذه المشكلة تنشب عن عدم التنسيق بين المؤسسات التعليمية في الدولة والقطاعات العامة والخاصة، مما يؤدي إلى تخريج شباب في المجالات التي تحتاج لها أسواق العمل.

وتشير الإحصائيات إلى أن عدد الملتحقين بالفروع العلمية في مراحل التعليم العالي في البلاد العربية متدنية جداً وتصل إلى ٧% كحد أقصى في الأردن بينما هي ٢٠% في كوريا الجنوبية.^{١٠} في الكويت مثلاً، عدد الخريجين من فروع الانسانيات ٤٤% بينما نسبة خريجي الجامعة في العلوم الطبيعية، الهندسة، الطب، الصيدلة، والصحة والتمريض ٦% فقط.^{١١}

والتحدي الآخر هو إهمال مجالات العلوم والتكنولوجية في المؤسسات التعليمية والعملية في المنطقة. حيث لا تضم المناهج دورات تدريبية عالية الجودة في استخدام الحاسوب والانترنت والتي لا يتجاوز عدد مستخدميها في المنطقة ١,٦% بينما غاد الانترنت ليكون أهم وسيلة لاغتناء المعرفة في الدول المتقدمة.^{١٢}

هذه الأسباب من الأركان الأساسية للبطالة بين الشباب (١٥-٢٤) والتي وصلت في الأردن إلى ١٤%، في الجزائر ٢٩,٩%، المغرب ١٧,٨%، تونس ١٥,٦%، والسعودية ١٥,٥%.^{١٣}

-هجرة الشباب إلى الدول الغربية:

عدم إتاحة الفرص للشباب يجلب الخيبة للكثير منهم. للشباب الذين يظلموا يوماً تلو الآخر بسبب الأوضاع في المنطقة، بأن الحل متمثل بالهجرة إلى الدول الغربية والتي أصبح لها سجل ناصع البياض في ضمان الرفاهية والحياة الكريمة لعدد كبير من مواطنوها.

¹⁰البنك الدولي. ١٩٩٨.

¹¹التقرير القطري لتقرير التنمية الإنسانية العربية. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي/الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي. ٢٠٠٣.

¹²تقرير التنمية الإنسانية العربية. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي/الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي. ٢٠٠٣.

¹³تقرير التنمية الإنسانية العربية. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي/الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي. ٢٠٠٢.

وقد أبدى ٥١% من الشباب الذين أجابوا على استبيان تقرير التنمية الإنسانية العربية ٢٠٠٢، رغبتهم بالهجرة إلى دول السوق الأوروبية وأمريكا كأولوية وحلم بعد التخرج.

هذه الظاهرة قد توجت بالفعل، حيث هاجر ٢٥% من أصل ٣٠٠ ألف خريج في المرحلة الجامعية الأولى في عام ١٩٩٦/١٩٩٥ من مختلف الدول العربية إلى شمال أمريكا ودول أوروبا الصناعية. وبين عامي ١٩٩٨ و ٢٠٠٠ هاجر أكثر من ١٥،٠٠٠ طبيب عربي إلى الخارج.^{١٤}

■ الحلول المقترحة:

تبين هذه الورقة بأن التحديات التي تواجه الشباب والأطفال العرب كثيرة ومعقدة والحلول كثيرة، ولكن وبكل صراحة كل هذه النظريات تحتاج إلى قرار سياسي يؤدي إلى إصلاح وضع الشباب والأطفال وضمان رفاهية سائر المواطنين العرب.

لنتمكن من تحديد الحلول، علينا أن نعرف ما هي أولويات الإصلاح حسب ما يراها المواطن العربي، في الاستبيان الذي أقيم في عدد من الدول العربية لتقرير التنمية الإنسانية العربية ٢٠٠٤، قام المجيبين بتسمية المقترحات التالية كأولوية لتحسين وضع الحريات في المنطقة:

النسبة	المقترح
3.02%	محاربة الجهل
8.43%	المساواة بين الجنسين
8.58%	القضاء على البطالة
8.62%	القضاء على الفقر

هذه النسبة والتي تقارب ٣٠%، تدل على إدراك الشعوب العربية بأن سبل توسيع الحريات في المنطقة هو تطبيق توصيات مؤتمر السكان والتنمية، وهذا ما يطالب به صندوق الأمم المتحدة للسكان من عشر سنوات، أي تطبيق الدول للالتزامات التي قطعتها في مؤتمر القاهرة.

وفي هذا المجال، فإن السؤال الجوهرى هو: كيف يمكن الشباب العربي من المشاركة؟ وللإجابة على هذا السؤال، قمنا بوضع المقترحات التالية والتي تنقسم على ثلاثة أقسام: الأولى، مقترحات لتنمية قدرات الشباب العربي، والثانية لتقوية مشاركة الشباب في عملية صنع القرار والثالثة طرق لمساندة المبادرات الشبابية والرابعة سبل تطوير نظم التعليم في المنطقة.

¹⁴تقرير التنمية الإنسانية العربية. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي/الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي. ٢٠٠٣

أولاً: تنمية قدرات الشباب العربي

(١) قيام دورات تدريبية تعنى بمنهجية القيادة وأساليبها من ضمن إطار مشروع عربي لتطوير قدرات الشباب القيادية. Leadership Training وتقام هذه الدورات عبر الجامعات ومؤسسات المجتمع المدني.

ثانياً: مشاركة الشباب في عملية صنع القرار

- (١) العمل مع الحكومات لمراجعة السياسات الوطنية للشباب وذلك بالتعاون الفعلي مع شباب الدولة، مما يسمح لهؤلاء الشباب بإبداء وجهات نظرهم حيال ما يروه كأولويات يجب أن يتم إضافتها إلى هذه السياسات.
- (٢) تأسيس هيئات استشارية شبابية لمنظمات المجتمع المدني وذلك لإشراك الشباب في قضايا التنمية المختلفة.

ثالثاً: كيفية مساندة المبادرات الشبابية

- (١) تخصيص كوتا معينة من قبل ميزانيات المجالس البلدية وأخرى في ميزانيات الهيئات الحكومية المختصة لتمويل المشاريع الإقليمية والوطنية الذي تقام من قبل الشباب.
- (٢) تخصيص فقرات وبرامج من قبل وسائل الإعلام المختلفة لتسليط الضوء على إنجازات وإشكاليات الشباب العربي.

رابعاً: سبل تطوير نظم التعليم في المنطقة:

- (١) إعادة مراجعة المناهج التعليمية لتشمل مفاهيم أساسية مثل الديمقراطية، حقوق الإنسان، سبل التفكير النقدي وقضايا جوهرية مثل الصحة الإيجابية وذلك لخلف جيل صاعد ملم بأولويات المنطقة.
- (٢) العمل مع المؤسسات الوظيفية لتحديد احتياجات السوق وتوفير التخصصات اللازمة وذلك لتخفيض معدلات البطالة بين الشباب وتوسيع قاعدة التخصصات بين الخريجين.
- (٣) إدماج العلوم والتكنولوجية كأساس في التعليم، وخصوصاً شبكة الانترنت لما تقدمه من معلومات كبيرة في شتى المجالات.

ومن المهم أن تنفذ هذه المقترحات بناء على شراكة حقيقية ما بين الكبار والشباب، مما يسني للشباب الاستفادة من خبرات الخبراء ويعطي الشباب دافع أكبر للعمل، وهم على يقين بأنهم يلقون الدعم اللازم من قبل المسؤولين في كافة القطاعات.

